والسعي خايب الأمل الا ان عيرته وحمية واعراضه كانت معروفة في مملكته
ثم ان الشركة سفرت سفرة رابعة مؤلفة من سفينتين احدها الصعود والاخرى الاتحاد براس مال
قدره ٣٠٠٠٠ ليرا استرلينة وعهدت قيادتها الى القبودان الكسندر شارلي وكان المطلب من هذه
السفرة كما قبلها وعلى الخصوص سورت لان المعلوم في ذاك الوقت ان هاتين المدينتين اكبر اسواق
الهند الغربية فكانه سفرهما في شهر مارث من سنة ١٦٠٧ فذاقتا في اثنا دورانهما من راس عشم
الخير الاهوال والشدايد من عواصف ورياح شديدة نزلت عليهما وانفصل السفينتان من بعضهما
وما التقيا ابدا من بعد ذلك فاما الصعود فانها سافرت في طول الساحل الشرقي من افريقيا الى ان
وصلت [illegible] وفي اثنا مرورها في طول الساحل وقع الهجوم عليها مرتان من المسلمين وقتلوا الكثير
من بحريتها ولما ضجر البحرية من شدة رداة الهوا والطقس وقلة وجود المؤنه وضعفت قوتهم وعجزت
صالتهم ناداهم طالع السعد والتقوا بمجموع جزاير غير مسكونة يظهر انها جزاير سيشيلة فصرحوا بها
وكان فيها مياه بكثرة ونارجيل وطيور من اليمام والحمام فاخذوا لانفسهم منها ما يلزم من المياه
والنارجيل واليمام والحمام وساروا الى البحر وصحوا تماما وعمرت وقوبلوا في كل منها مع الزهاد
وسعة الصدور والانشراح ثم سافرت الصعود من عدن الى سوقطره واخذ البحرية من سوقطره
ما يحتاجون من مؤنه ومياه ثم سافرت نحو الهند ووصلت مينة ديو واستعدت لعبور خليج كامباي
من اجل الوصول الى سورت الا ان اهلها تذكروا اخطار الخليج وما فيه من كثرة الشعب فطلبوا
اخذ واحد ريس من ديو يقود السفينة حتى تنجو من خطر وهول هذا الخليج فرفض ريسها مع شدة
العناد قبول واحد ريس فكانت نتيجة عناده ان صدمت السفينة عدة مرات في الشعوب الكثيرة
المخفية تحت مياه الخليج وكان الصدام مع الشدة فآل امرها الى الغرق بالكلية ونجى البحريون بانفسهم
في القوارب الصغيرة ورغبوا الدخول في نهر سورت فمنعتهم عدة عوارض وموانع مختلفة وارغموا
على الدخول في نهر جوداوري فكان تغيير المرغوب سببا في نجاة وحياة انفسهم لان البرتغاليين
في سورت كانوا مستعدين لدمارهم ومما يجب التنبيه عليه هنا بان هوكنس كان منتظر ورود هذه
السفينة في سورت وكانت اخبار سفرها وصلت الى وكلا الشركة ووصلت اخبارها له بواسطة
الوكلا فبذل جهده في ديوان جهانگير في تيسير الحصول على امر الامبراطور بحرية تجارة اهل بلاده
ومن ثم استيقظ برتغالي سورت واجتهدوا وعزموا على ابطال هذا الامر بهلاك البحرية وضبط
السفينة وشحنتها ونجى البحرية جميعا وتوجه بعضهم الى جوواه وسافر منها الى انكلتره من دون ان
يحصل لواحد منهم ضرر ووصل الباقي الى اگره من بعد سفر مملّ صعب ودخلوا فيها تحت محافظة هوكنس
الى ان ارسلهم الى انكلتره من طريق فارس في البر واما قرينة الصعود وهي الاتحاد فانها صنعت
مثل ما حكي بحرية الصعود لهوكنس في اگره بل كان الصاري الكبير الوسطاني فقد من محله فلافي
البحرية بمهارتهم وبراعتهم هذا الخطر واصلحوا صاريهم ووصلت السفينة ساحل سنت اوغسطين في
جزيرة مداغشقر وسافرت منها الى زنزبار ولحق بالسفينة فيها مصايب اخرى جديدة من كل من مناخ
الجهة وهجوم اهل الجزيرة على السفينة وقتلهم عدة من بحريتها ثم سافرت نحو الشمال جهة بلاد العرب ولما
فقدوا طريقهم الى الساحل الهندي عزموا على السفر وجريا الى سوقطره ثم وصلوا اچين وبنتام
مع السلامة وشحنوا سفينتهم شحنة عظيمة من الفلفل الا ان العود الى انكلتره كان من غير حزم و
عقل ودراية مدبر كما كان في السفر الى الهند فانه من بعد مدة من الزمن ما كان فيها فايدة سوى
الخبل والجنون وصلت السفينة مع السلامة الى خليج الانكليز فلاحظها ايضا عين النحس وبلغ الشر
الى هذه الجهة وسارت السفينة مع عدم الاعتنا والملاحظة من ريسها الى ان انصدمت على ساحل
بريطاني فنهبها الناس وخرقت وهلكت كافة بحريتها وكانوا اثنين وسبعين فما نجى منهم الا خمسة فقط
وخسرت الشركة المانع وصهات السفينة والواحها وحبالها ومخاطيفها وقواربها وما يعني طولوناته
من الفلفل بارسالها بجاريتين ماهرين وناس اخرين قرروا بعدم منفعتها واستعمالها
وفي سنة ١٦٠٩ سافر القبودان داوود ميدليطن مرة ثانية في سفينة واحدة اسمها [illegible]
براس مال قيمته ١٣٧٠٠ ليره استرلينة فسافر دوغريا الى جزاير البهارات (مولوقه) فوجد الفلمنكيين
في قوة وسطوة كبيرة مثل ما كانوا من قبل فما رضوه وقاوموه واعلنوه بان لهم سلطنة هذه البحار
ولا شريك لاحد معهم فيها فتحايل القبودان الى ان دخل في علاقات مع الوطنيين واستحوذ على شحنة
عظيمة من البهارات وباع بضايعه بارباح عظيمة فقام الغضب في وجوه الفلمنكيين وعولوا على ادماره
وقطع اثاره فاجتهد القبودان في انتهاز فرصة النجاة بنفسه من قبل ان يكون غنيمة لهم وسار من جزاير
البهارات على حين غفلة من الفلمنكيين ووصل مع السلامة الى المركز الانكليزي في بنطام من دون ان

ان يحصل له ادنى غايلة وفي هذا الوقت استشعرت الشركة بالمصاعب والاهوال التي فيها حذرها واهلاكها
واموالها صارت عرضة للعصاوة والتلف من عداوة البرتقاليين وحب الزراق البحاري والغيرة الواقعة
في قلوب الفلمنكيين فعولت وصممت على انشا اكبر درجة من السفن على قدر ما يسمح بها ذلك الوقت واذ
شرع سفنها بافواه نارية كبيرة العيار ويكون شغلها في صورة عالية من التنظيم مع بحرية اهل مهارة
وبراعة ومكنة فشيدت ترسانة او دار صناعة مراكب في دپتفورد انشأت فيها عدة من السفن الكبار
التي كانت في صورة تجار الانكليزية وفي مبادي سنة ١٦٠٩ نزلت في الما سفينة حمولة ١١٠٠ طولوناته
كانت اكبر سفن العصر واحواها في المياه الانكليزية وسميت باسم زايد التجارة وكان الملك جمس وابنه
الذي عرف فيما بعد بشارل الاول مباشران النزول وتسمية السفينة واحتفل الملك جمس بحادثة جليلة
ما سبق لها نظير في تلك الايام كانت اطعمتها وتوزيعها في اطباق وصحاف من الصيني تشريفا لنزول هذه
السفينة وشيدت الشركة دار صناعة ايضا في نواحي بلاك وول (السور الاسود) وانشيت فيها عدة
سفن من حمولة ٦٠٠ طولوناته الى ١٠٠ طولوناته في ظرف الثلاثة عشره سنة التي اعقبت ذلك
وكانت السفينة التي اطلق عليها اسم جمس تشريفا لقدر الملك تفوق كل السفن لان حمولتها كانت ١٢٠٠
طولوناته وانشئت الحكومة مركب حربي اسمه البرنس حمولة ١٤٠٠ طولوناته حاملا اربعة وستين مدفعا
وفي سنة ١٦٠٩ وسنة ١٦١٠ سفرت الشركة سفرة كبيرة اكبر من كل اسفارها الاولية مؤلفا من
ثلاث سفن احدها السفينة الضخمة المعروفة بزيادة التجارة حمولة ١١٠٠ طولوناته براس مال قدره
٨٢٠٠٠ ليره استرلينه وكان قايد هذه العمارة هنري ميدليطن وكان حاز الشهرة والشجاعة و
الهمة في السفرة الاولى وكان البحر الاحمر وسورت وجزاير البهارات مطلب نظره ونقطة اتجاه
اسفاره فلما دور راس عشم الخير سار مباشرة الى خليج العرب ودخل مينة مخا فوجد فيها في الابتدا
مقابلة جميلة ودادية ثم دعي في وليمة على الساحل مع غاية المحبة واقرا الضيافة ولما توجه الى
الدعوة مع الكثير من ضباطه ورجاله وقع القبض عليهم جميعا وكتفوهم وارسلوهم اسرى الى صنعا
عاصمة اليمن وكان عدد الانكليز احد وسبعين والذي قطعوا عليهم قليلي العدد فنجوا بانفسهم
ورجعوا الى سفنهم ومن ثم سار هنري ميدليطن من هذا الموقع الى [illegible] ونزل في البحر الاحمر
وعبره الى مدينة سورت على امل فتح معاملة تجارية مع هذا السوق الكبير الهندي فوصل الى ساحل
كامباي في اخطور من سنة ١٦١١ فما حصل له من الصعوبة في وجوده في النهر الواقفة على ضفته
هذه المدينة العامرة وعندما قرب من مدخل نهر سورت وجد فيه صدود باسطول برتغالي قيل انه
كان مؤلفا من عشرين سفينة مسلحة مستقبلة جيوشا في فمه من اجل منع وصد دخول اي سفينة فيه
من سفن الامم الاخرى الاوروباوية وكان القبودان شارلي في هذا الوقت في سورت فاجتمع
في البر مع هنري ميدليطن واخبره ان هوكنس في اگره وفيتش وكان في ذلك الوقت في لاهور
اشارا بانه لا يلزم عمل اي شي واجتهادي شغل من الاشغال على الساحل لان البرتقاليين والجزوئيت
وتجار الاهالي جميعهم في جامعة واحدة ومتفقين على العداوة للفلمنكيين والانكليز وعلى الخصوص
الانكليزية ومع ما كان من هذا الانذار فاما ميدليطن عزم على ان لا يترك سورت ولا يبرح عنها
من دون ان يجتهد ويسعى في تمام مأموريته وفي اثنا استعداده للدخول في المينة تلقى افادة
من الاميرال البرتقال الدون فرنسيسكو دو سوتو مايور يطلب منه ان كان معه اي مكتوب او
رخصات رسمية من ملك اسبانيا والبرتقال او من عامل الهند وواليها توحق لهم بالتجارة في هذه
الجهات اولا فان كان معه هذا فان الاميرال مستعد لسهولة طلباته والا فان التعليمات الموجودة
عنده ومن الواجبات عليه اجرى تنفيذ مفعولها ان المينة ممنوع الدخول فيها لكافة امم الممالك
ما عدا اهل مملكته فاسرع هنري ميدليطن في رد الجواب بانه لا يوجد معه مكتوب ولا رخصة رسمية
لا من ملك اسبانيا ولا من العامل وانه حامل بشهادات واوراق رسمية وهدايا جليلة لحاكم من
اجل فتح باب من برة تجارية مع المغول الاكبر الذي ليس تحت رق وعبودية البرتقاليين بل هو
وارعته حرية الدخول لكافة الامم وانه لم يرغب حصول ضرر او قلقلة للدون فرنسيسكو ولا يصل
بلاده ولو ان له طاقة على ملتقى القوة بالقوة وصرف ميدليطن كافة النصايح التي وردت له من شارلي
في كونه يسافر من هذه الجهة ويبحث عن طالع سعده في جهات اخرى من السواحل الهندي وكان تلقى
من الادارات التجارية الكبيرة في سورت اخبار مؤكدة بانه لولا خوفهم من البرتقاليين فانهم يتجرون معه
مع غاية الرقة والخيرة وعزم على انه لا يوجد شي من جهته في ضياع الوقت اللازم للوصول الى ما ارادوا
التجارة معه وكان تحت رياسته في هذا الوقت اربع سفن اكبرها واضخمها زيادة التجارة وهذه لا يمكن
دخولها في المينة بسبب جسامتها فارسلها خارج السفن الصغيرة تحت حماية بزاة مدافعها الثقيلة واصطف

Copyright © King Saud University